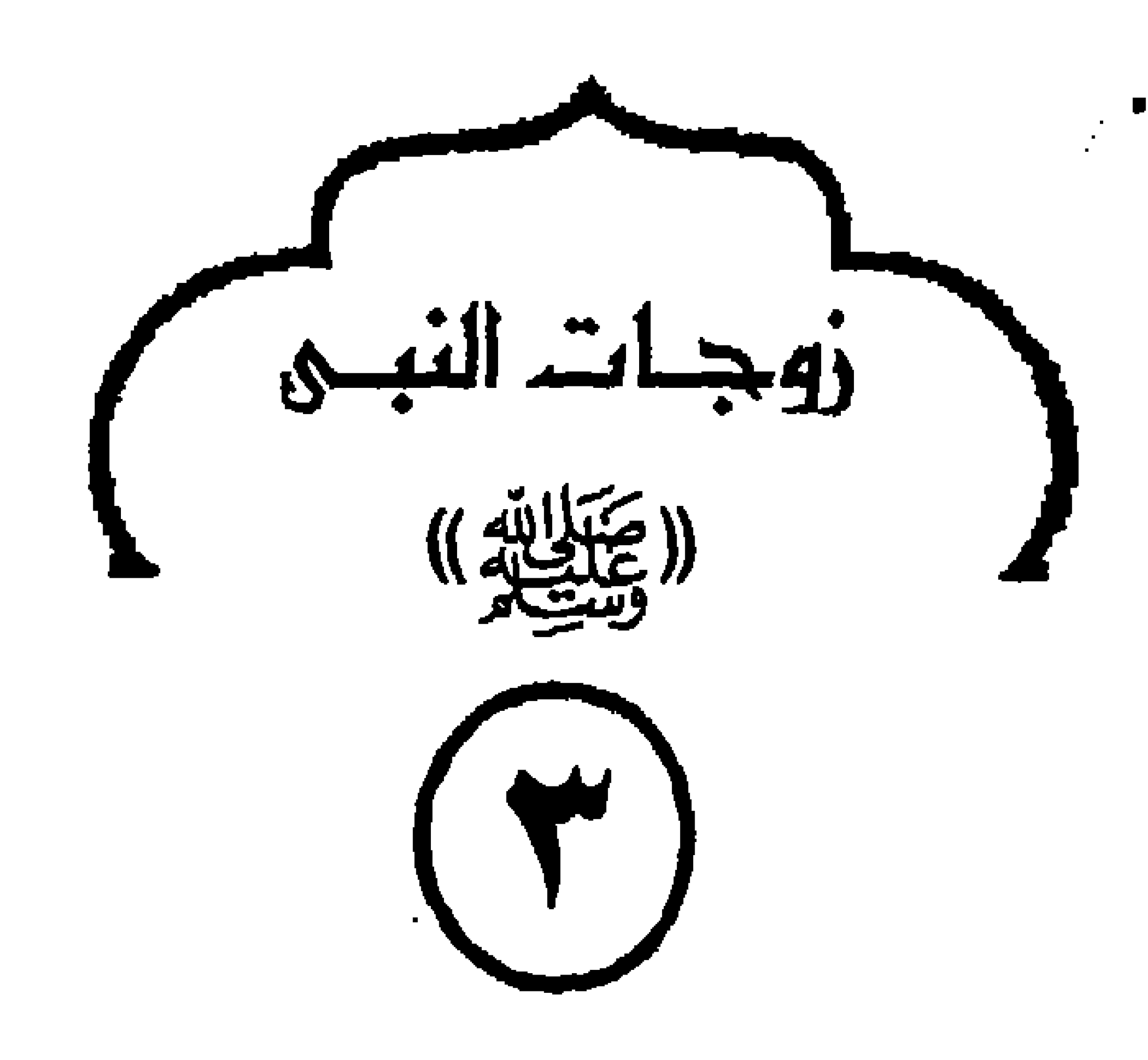


٣
أم المؤمنين
عائشة بنت أبي بكر
رضي الله عنها
زوجات النبي
صلى الله عليه وسلم
تأليف
دار الدعوة



عائشة

الصدِّيقة بنت الصدِّيق
أم المؤمنين

رضي الله عنها

دار الدعوة

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

رقم الإيداع القانوني
٩٧/٢٣٤٨

الترقيم الدولي: 1-146-253-977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي : ٢ ش منشا ـ محرم بك ـ الإسكندرية.
ت:٤٩٠١٩١٤ـ٤٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس :٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة :ت :٣٨٣٢٧٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (النور)

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ
خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ
مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ
(١٣) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي
مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ
بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ
(١٥) وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ
هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ
وَالْمُنكَرِ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) وَلا يَأْتَلِ أُولُوا
الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٢)

● قال رسول الله «ﷺ»:

- «لا تؤذونى فى «عــائشــة» فـإنه والله مــا نزل علىَّ الوحْىُ وأنا فى لحاف امرأة غيرها»

● وقال ﷺ :

«عائشة زوجتى فى الجنة ».

وسألت عائشة «رسول الله «ﷺ»» قالت:

[يا رسول الله مَنْ مِنْ أزواجك فِي الجنة ؟

قال: أنت منّهُن].

صدق رسول الله «ﷺ»

الرؤيا

مضت فترة على زواج النبى «ﷺ» من «سودة»؛ ثم استيقظ صبيحة يَوْمٍ مُسْتَرْجِعاً في مخيلته ذكرى حُلم رآه، فقد جاءه «جبريل» -عليه السلام بقطعة قماشٍ حريرىٍّ عليها صورة «عائشة بنت أبى بكر» وقال له:

- **إنها زوجتك فى الدنيا والآخرة.**

فأخذ «ﷺ»يفكر فى أمر هذه الرؤيا . . ، ثم صَرفَ ذهنه عنها معتبراً إياها أضغاث أحلام، ولم يولها عنايته واهتمامه، فقد كانت مشاغل الدعوة وأعباء الرسالة أكبر من هذا الخاطر العابر وأعظم منه.

لكن الرؤيا تكررت ليومين على التوالى، فأدرك النبى «ﷺ» أنها أمرٌ من الله سبحانه وتعالى . . ، ولا بد من تنفيذ أمر الله.

ثم بكَّرَ - عليه الصلاة والسلام - إلى دار «أبى بكر» -رضي الله عنه، فاستقبله مرحباً .

ولما استقر المقام بالنبى «ﷺ» قص على «أبى بكر» رؤياه، فأصغى -رضى الله عنه- وقد أدْرك أن النبى «ﷺ» قد جاء خاطباً .

ثم التفت إلى النبى «ﷺ» وقال:

- إنها ما زالت صغيرة يا رسول الله . . ، وسأرسلها إليك لتراها.

ثم غادر النبى «ﷺ» دار «أبى بكر».

كانت السعادة والفرحة تغمران نَفْس الصِّدِّيق. . ، فإنه لَشَرَف عظيم ومنزلة سامية، أن يصاهره النبى «ﷺ»:

ثم دَخلَ حَرَم أهله ونادى «عائشة» والتى كانت منهمكة فِي اللَّهْو بدُماها. . .

ثم حمَّلها إناءً فيه تمر، وطلب إليها أن توصله إلى بيت رسول الله «ﷺ» وتقول له:

- هذا كل ما عندنا يا رسول الله، فهل يوافقك؟؟

فعل "أبو بكر"- رضى الله عنه- ذلك بعد أن أَخْبَرَ زوجته «أمّ رومانٍ» بالأمر، وأخَذَ رأيها.

فى بيْت رسول الله «ﷺ»

أسرعتْ «عائشة» الطفلة (الفَتاة) إلى بيت رسول الله «ﷺ» فهشَّ لها وحيّاها، ثم قدَّمت له وعاء التمر الذى أُرسلتْ به، وقالت له ما علَّمها أبوها، ثم عادت ثانية إلى والدها، فسألها:

-ماذا قال يا بُنَيَّةُ؟

أجابت:

- قال: نعم، وعلى بركة الله.

لقد ذهبت «عائشة» إلى بيت النبى «ﷺ» تنفيذاً لأمر أبيها، وهى لا تدرى من أمر هذه الزيارة شيئاً، ولا الغاية منها، إذ كانت فى سنٍ -صغيرة- لا تُدْرك معها مُنْطويات هذه الأمور، وأهداف هذه التحركات، وأبعادها ومراميها.

لقد ارتاحت نفس «الصديق» -رضى الله عنه- وسُرَّ غاية السُّرور لجواب النبى «ﷺ» .

الخطبة

وخطبت «عائشة» لرسول الله «ﷺ»، وهى بْنت سبع سنين[1]، وبقي أمر هذه الخطبة مكتوماً لا يعلم به أحد، سوى رسول الله «ﷺ» و«أبى بكر» وزوجته «أم رومان» وكان رسول الله «ﷺ»كثير التردُد على دار «أبى بكر»، فيوصى بـ «عائشة» خيْراً، إذ كانت ما تزال طفلة ساذجة، لا تفقه من شؤون الحياة إلا القليل، وكانت كأترابها [2] تقضى معظم أوقاتها لاهية لاعبة، تأخذ دميتها فى حجْرها، فتسرِّح لها شَعْرها، أو تلبسها خرقاً تسميها ثياباً، أو تهدهدها لتَغْفو . . !

(١) على أصح الرويات.

(٢) أترابها : صديقاتها فى مثل سِنِّها .

لقـد وَثَّقَتْ هذه الخطبة أواصـر المحبـة والصـداقة بين رسـول الله «ﷺ» وصديقـه الحميم «أبى بكر» -رضى الـله عنه- وزادتها متـانة وقوةً، وتَمَتّنَتْ عُرَى الأخوةَ بينهما إلى أقصى الحدود.

ومرت السنوات ..

سنوات الكفاح والجلاد والجهاد . . . ، حتى كانت الهجرة الى «المدينة».

وبعـد أن استـقـر المقـام بالمسلمين فـيهـا، وآخى رسـول الله «ﷺ» بين المهـاجرين والأنـصار، وجـمع بين «الأوس» و «الخـزرج» على طريق الإيمان والإسـلام، وعاهد يـهود المدينة مـن «بنى قينقـاع» و«بنى النضـيـر» و «بنى قريظة»، .على التعايش بأمن وسـلام، لا يغدروا بالمسلمين ولا ينصروا عليهم عدواً، ولهم دينُهمُ وشؤون حياتهم الخاصة.

الزواج

بعـد هذا كله. . . جاءه أبو بـكر. . . -رضي الله عنه-مُذَكِّراً. . . يمشى على استحياء . .

جاءه «ﷺ» فى ساعة من صفاء وراحة قائلاً:

- ما الذى يمنعك، أن تَبْنى بأهلك يا رسول الله ؟

فالتفت النبى «ﷺ» إلى «أبى بكر» وكأنَّه تنبَّه إلى نفـسه، وفكر فى خطبته لـ «عائشة» التى مضى عليها سنوات . . .

فـ «عائشـة» اليوم قد اكـتملت أنوثة، وهى أَصْلَحُ مـا تكون لإتمام الزيجة فأجاب«ﷺ» «أبا بكر» بالإيجاب، والابتسامة الرقيقة لا تُفارق ثَغْرَهُ الشريف.

فى بيت رسول الله «ﷺ»

دخلت «عائـشة» -رضى الله عنهـا- بيت رسول الله «ﷺ» تحـمل ضمن جهـازها المتواضع جداً . . . ، الدُّمى. . .! إذ كانت رغم اكـتمال أنوثتهـا ما تزال فى سن مبكرة تغلب عليها السذاجة وطابع الطفولة.

فقد دخل رسول الله «ﷺ» بيته يوماً فوجد «عائشة» قد صفَّت (العرائس)

وجعلت لبعضها أجنحة، فسألها عما تصنع:

فقالت:

- إنّهُنَّ خيُول «سُلَيْمان».

فتبسم رسول الله «ﷺ» وعاد يسألها:

- وما هذه الأجنحة؟

فقالت:

- ألم تكن لـ «سليمان خيول ذات أجنحة يَطِرْنَ بها؟ »

فضحك رسول الله «ﷺ» كثيراً حتى بدت نواجذه.(١)

لقد كانت طفولية «عائشة» محببة إلي رسول الله «ﷺ»، ولم يكن ليتضايق منها أو يتألم، أوْ يُبدى ضجراً أو اشمئزازاً، ولكنه كان يرعاها رعاية الأب الحنون أو الوالد العطوف...، كيف لا؟ وهو نبى الرحمة، وهو الذى يقول:

[استوصوا بالنساء خيراً ...]

وفى ذات يوم دخل الدار فرأى «عائشة» -رضى الله عنها- قد غلبها النوم والشاة تأكل الخبز الذى أعدَّتْهُ فتبسَّم من ذلك، ثم أيقظها برفْق وواساها حين أبدت ندمها وحُزْنها على ما فَرَّطت وأهملت.

لقد كان عليه السلام - مُعلماً عظيماً، وأباً كريماً، وزوجاً وفياً....، وبهذه الصفات التى حلاّهُ ربه بها، والمبادئ التى بَشر بها، انتصر على الجهل فأيقظ العقول، وحطم الأوثان وقضى على الشرك، فمحا من القلوب ما ران عليها من أدران العبودية لغير الله تعالي.

أوليس هو القائل -«ﷺ»:

[المعرفة رأس مالى، والعقل أصل دينى، والحُبُّ أساسى، والشوق مركبى، وذكر الله أنيسى، والثقة كنزى، والحزن رفيقى، والعلم سلاحى، والصبر

(١) بدت نواجذه: إفتر ثغره الشريف عن أسنانه فظهرت أطراف أنيابه (نواجذه).

ردائي، والرضى غنيمتي، والفقر فخرى، والزهد حرفتي، واليقين قوتى، والصدق شفيعى، والطاعة حسبى، والجهاد خلقى، وقرةعيني فى الصلاة].

الزوجة الوفية

كبرت «عائشة» ونضجت واستوت عقلاً وفهماً، وإدراكاً فكانت سيدة بيت رسول الله «ﷺ» ترعى شؤونه، وتدبر أموره، وتواسيه حين تجب المواساة وتطيعه فى توجيهاته، وتحفظ عنه الكثير من أقواله، وتتأسّى بأفعاله وتقوم بأمور بيت الزوجية خير قيام.

وعرف رسول الله «ﷺ»لها ذلك الفضل فكانت أحب نسائه إليه وعرف فيها الذكاء والوفاء، والوعى والفهم، فقال موصياً أصحابه وأهله:

- [خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء].

ذلك لما كانت تتحلّى به من الفقه، وما كانت تستوعبه من العلم.

لكن «عائشة» -رضى الله عنها- لم تكن لتفارقها طباع النساء من غيرة .

فقد حدث مرة أن خرج رسول الله «ﷺ» في إحدى الغزوات، واصطحب معه من نسائه «عائشة» و«حفصة»؛ وفى الطريق رأت «حفصة» كثرة اقتراب النبى «ﷺ» من هودج «عائشة»، يكلمها ويحدثها. . . .، فخطر لها خاطر. . . .، فما أن ابتعد النبى «ﷺ» عن هودج «عائشة» حتى اقتربت منها «حفصة» وأسرّت إليها بكلام تضاحكتا بعده، ثم استبدلتا ركوبيهما، «عائشة» فى هودج « حفصة» و «حَفْصَةُ» فى هودج «عائشة» ثم أقبل رسول الله «ﷺ» على هودج «عائشة» يكلمها وهو لا يعلم أن «حفصة» بداخله، فكلمته وحدثته على أنها «عائشة» وعندما أقبل المساء وتوقف الركب عن المسير، وقصد النبى «ﷺ» خباء «عائشة» فوجئ بـ«حفصة» فى داخله . . .، لكنه «ﷺ»لم يبد انزعاجاً، وقضى ليلته عندها .!

وكانت ليلة ليلاء على «عائشة» التى حرمت من بركة رسول الله «ﷺ» وأضاعت فيها نصيبها، وأرقت طوال ليلها، ولم يعرف النوم سبيلاً إلى

عينيها، ولامت نفسها إن عادت لمثل ذلك.

الزوجة الغيور

وفى ذات ليلة خرج رسول الله «ﷺ» إلى «البـقيع» حيث مدافن المسلمين وكثيراً ما كان يخرج إليهـا ليلاً، بعد صلاةَ الفجر، يزور أهل «البقيع» ويسلِّم عليهم ويدعو للمؤمنين والمؤمنات ويتذكر الموت والآخرة.

فاستفاقت «عائشة» فلم تجـده بجوارها، فقلقت وتحيرت فى أمرها وظلت على حـالها تلك حـتى عاد رسـول الله «ﷺ» ورأى ما هى عليـه من الهم والأرق، فأنكر ذلك منها، -وقد ظنت أنه «ﷺ» قـد خرج إلي إحدى نسائه غيرها -، فقال لها:

-إذاً فقد غلبك شيطانك يا «عائشة» ..!

فسألته:

- أى شيطان يا رسول الله؟

فقال -«ﷺ»:

-نعم لكل إنسان شيطان ..

فأردفت:

-وحتى أنت يا رسول الله !؟

فأجابها -«ﷺ»-:

- نعم، ولكن الله تعالى أعاننى عليه فأسلم(١).

ولقـد وصل حب النبى «ﷺ» لِـ «عائشـة» -رضى الله عنها- إلي جـعل باقى نسائـه -عليه السلام- تشـتد غيـرتهن منها، وتدفـعهن تلك الغـيرة أن يرسلن فاطمة الزهراء -رضى الله عنها- إلى أبيها يطلبن العدل بينهن.

فجاءت أباها تنقل إليـه احتجاج أزواجه، فغضب «علـيه الصلاة والسلام»

---

(١) أسلم : بمعنى استسلم ، فلم يعدله سلطان علّى، وليس بمعنى أنه دخل فى الإسلام.

وأعرض عنها بوجهه -مع حبه الشديد لها . . . .

لكن «فاطمة» أعادت الحديث، وكررت الطلب، وكانت لها دلالٌ على أبيها «ﷺ»، فقال لها:

- أولست تحبين ما أحبه؟

فردت:

-بلى يا رسول الله . . . .

فقال لها:

-إذاً أحبى «عائشة»

فسكتت «فاطمة» بُرهة . . ، أضاف بعدها «عليه الصلاة والسلام» قائلاً:

- فليتقينَ الله فى «عائشة» فوالله ما نزل علىَّ الوحىُ وأنا فى فراش واحدةٍ منهن غيرها.

يا نساء النبي . . .

وفتن الشيطان يوماً نساءَ النبىَ«ﷺ» ووسوس إليْهن أن يطلبْن زيادة النفقة والتَّوْسعة عليهن، فغضب لذلك غضباً شديداً وأقسم أن لا يدخل بيوتهن شهراً . . !

كما خيرهن بين متعة الحياة الدنيا وزخرفها وزينتها ، وبين العيش فى كنف النبوة وظلال الرسالة.

ولما آثرن البقاء بجانبه «ﷺ» كان أول بيت يدخله من بيوت أزواجه، هو بيت «عائشة». (١)

وكان مما قالته -رضى الله عنها- يومئذ معتذرة لرسول الله «ﷺ»:

- بأبى أنت وأمى يا رسول الله. . . أفى هذا تُخيرنى؟؟ بل أختار الله ورسوله.

وعاد الصفاء والودُّ إلى بيت رسول الله «ﷺ» وانزاحت السحب والغيوم التى تلبدت فى سمائه فترة من الزمن.

---

(١) اقرأ إن شئت تفصيل ذلك فى سورة (التحريم).

زلزلة أخرى: (حديث الإفك)

ولقد كان حديث الإفك من أشد وأصعب ما واجهت «عائشة» -رضى الله عنها- فى حياتها ومن أقسى ما تعرض له بيت النبوة إلى أن تنزلت آيات الله تعالى فى سورة (النور) تكشف الغمة وتبددها.

وإليك عزيزى القارئ تفصيل ذلك (١).

فلقـد خرج النبىُّ «ﷺ» فـى جيش من المسلمـين فى المدينة إلى ديار «بنى المصطلق» لتأديبـهم ومعاقـبتهم، على مـا كان منهم وكان سـهم الخروج من نصيب «عائشة» -رضى الله عنها- من بين أزواجه.

وحين تم النصر للمـسلمين على «بنى المصطلق» الذين لقوا جـزاء غدرهم ونفاقهم و وزعت المغانم والأسلاب.

وقد التقى عند حوض الماء الذى كان يسـتقى منه المسلمون، أحد الأنصار وأحد المهـاجرين، فتزاحـما وتنافرا وكـاد خصامـهما يؤدى إلى اشتـباك بين المؤمنين.

ومما زاد فى تأجـيج نار الفتنة مـا قاله رأس المنافـقين«عبـد الله بن أُبىٍّ بن سلول»:

- لئن رجعنا إلي المدينة ليُخرجَنَّ الأعز منها الأذلّ.

وسـمع أحد المـسلمين تلك المقـالة، وشهـد الحـادثة، ومن ثم رأى بوادر الفتنة، فأسرع إلي رسول الله «ﷺ» ينقل له الخبر،وما قاله «ابن سلول»..!

فرأى «عليه الصلاة والسلام» أن من الحكمة أن يشغل الناس عن الفتنة بالمسير على الفور بعد أن أقاموا للاستراحة.

فى أثناء ذلك، كانت «عائشـة» -رضى الله عنها- قدخرجت من خـبائها لقضاء حـاجة بعيداً عن معسكر المسلمين، وهى لا تدرى من أمـر ما يحدث شيئاً . . . ، وابتعدت كثيراً .

(١)ولئن تُحُدِّث به كـثيـرٌ هناوهناك ، فنحن نرى من الضـرورة بمكان أن نُذَكِّرَ به كُلَّمـا جاء ذكـره وسنحت فرصته، للتأكيد على محتواه وغرضه.

وحين رحل المسلمون رُفع هودجها من مكانه ظناً من قائده أنها في داخله، ومضـي المسلمون في طريقـهم إلى المدينة. عادت «عـائشة» مما ذهبت إلـيه، وافتقدت غير بعيدٍ عقـداً كانت تزين به جيدها فلم تجده، فرجعت سريعاً إلى حيث كانت ولملمت حبات العقد المتناثرة، وعادت على جناح السرعة.

وحين بلغت طرف المعسكر، ومكـان الهودج، لم تجد أثراً لبشـرٍ فارتاعت وجزعت، وألمَّ بها خوف شديد ثمَّ لبثت فى مكانها لا تدرى كيف تتصرف، وماذا تفعل ؟!!

وكان من عـادة رسول الله «ﷺ»القـائد الظافـر الخبيـر،أن يرسل إثر كل غزوةٍ رجلاً من أصحابه اسمه«صـفوان بن المعطل»، يستدرك ما فاته المسلمون عند رحيلهم. وفـوجئت«عائشة»-رضى الـله عنها- بخيال فـارسٍ يأتى حيث تقف،فأرخت حجابها وعندما لمحـها «صفوان» غَضّ بصره، وقال فى دهشة وعجب:

-ظعينة رسول الله -«ﷺ»- ؟ ما خلفك رحمك الله؟ وما الذى أخَّرك؟

ثم نزل عن بعيره، وتأخَّر حتى ركبت، ثم تقدَّم وأمسك بالمقْود.

وشُغل بال رسـول الله «ﷺ» على «عائشـة» حتى عـادت واطمئن عليـها وسمع بعذرها وصدّقها. بعد أن افتقدها فلم يجدها واهتم لأمرها.

وكان عندمـا أطل موكب «صفـوان» و«عائشة» على مـداخل المدينة المنورة ولمحه «ابن سلول» المنافق، الذى كـان جالساً مع بضعة نفـر من أتباعه، ومن هُم علي شاكلته، استيقظ الحـقد في قلبه، ووجد المادَّة التى يتسلى بها والسم الذي ينفث ، لينفس عن حقده وحـسده لرسول الله «ﷺ» وعلى المسلمين، فقال:

- أيها الناس . . . ظعينة نبيّكُم عادت فى ركاب رجُل، والله ما نجت منه ولا نجا منها.

وسٌرت أكذوبة «ابن سلولٍ» بين الناس مسرى النـار فى الهشيم، وتناقلتها

الألسنة تصريحاً وتلميحاً.

لكن «عائشة» -رضى الله عنها- دخلت منزلها خالية الذهن، لا تدرى من أمر هذا الإفك والافتراء شيئاً.

ثم وصل الهمس إلى أُذن رسول الله «ﷺ» فعاش فترة من الحيرة والقلق، والهم الشديد، يبدو ذلك على محيّاهُ الشريف، ويظهر فى تصرفاته.

وكانت «عائشة» تُعلِّل تلك الظواهر فى وجهه «ﷺ» ، أو انصرافه عنها بسبب انشغاله بأمور الدعوة ، وشؤون المسلمين.

وحين استفحل الأمر وقد شعرت -رضى الله عنها- بالمرض يداهمها استأذنت رسول الله «ﷺ» أن تذهب إلى بيت أبيها كى تقوم أُمُّها على خدمتها ورعايتها.

ولقي طلبها هذا سرعة استجابة من رسول الله «ﷺ» مما جعلها تحزن وتتوجَّس، لأنه «عليه الصلاة والسلام» لم يكن ليطيق فراقها، أو ابتعادها عنه.

ودخلت «عائشة» منزل والدها الصِّدِّيق الحزين . . . -رضى الله عنه-، الذى ما انفكَّ يدعو الله تعالي أن يبرّئ ساحة ابنته. الغالية .

وقضت -رضى الله عنها- فى بيت «أبى بكر» قرابة العشرين يوماً حتى شفيت من مرضها.

وفى ليلة خرجت مع امرأة من الأنصار ممن كُنَّ يزُرْنها، لقضاء حاجة بعيداً في الخلاء، وبينما كن فى الطريق، عثرت المرأة بطرف ثَوْبها، وكادت تسقط أرْضاً ، فقالت: - تَعِسَ «مِسْطح» (١). . .

فانتفضت «عائشة» -رضى الله عنها- وقالت بحدَّة وغضب :

-بئس- لَعَمْرُ الله - ما قُلتِ فى رجُل من المهاجرين ممن شهدوا بدراً. . !

فقالت المرأة:

- عجباً . . ، وتدافعين عنه. . . ، أو ما بلغك الخبر يا ابنة «أبى بكر»؟

(١)هو « مِسطح بن أثاثة »وكان قريباً لأبى بكر، يعطف عليه بسبب فقره وقِلَّة ذات يده.

فأجابت «عائشة» مستفسرة بدهشة:

- وما الخبر . . . ؟

فقصت عليها المرأة حديث الإفك، وما يُشاعُ عنها، وما يروِّجُه دُعاةُ السُّوء من أقاويل وافتراءات.

وكان «مسطح بن أثاثة» واحداً من الذين أطلقوا لألسنتهم العنان، ينالون به من شرف «عائشة» وسُمعتها.

ولما فرغت المرأة من الحديث، كاد يُغمى على «عائشة» فتماسكت، وعادت إلى البيت تبكى وتنتحب، وتلُوم أُمَّها لأنها كتمت عنها الخبر رأفة بها، وراحت الأم تخفف من حدةّ غضب «عائشة» والدموع تنهلُّ من عينيْها فتَغْسل وجهها، وتقول:

- أى بنيَّة هَوِّنى عليك الشأن، فوالله لقَلَّ ما كانت امرأة حسناء عند زوجٍ يُحبُّها، ولها ضرائر، إلا كثَّرنَ. . وكثّر الناس عليها.

لكن أيْن «عائشة» وأيْن أُمّها !!؟؟

لقد كانت فى هم شديد، الدنيا كلها فى نظرها مظلمة سوداء.

فقبعت فى الدار متواريةً عن الناس، عازفة عن الطعام والشراب لا تغفو ولا تنام، تبكى وتنشج.

ولم يكن سكوت رسول الله «ﷺ» سكوت الصِّدق -معاذ الله- ولكن سكوت الصابر، حتى يَقْضىَ اللهُ أمْراً كان مفعولا.

وحين كثر القيل والقال، خطب فى الناس فقال:

- أيها الناس، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما علمت منهم إلا خيرا، ويقولون ذلك عن رَجُل ما علمتُ منه إلا خَيْرا، وما يدخل بيْتاً من بيوتى إلا وهو معى - (يعنى «صفوان بن المعطل») - فسكت الناس جميعاً.

ثم أراد رسول الله «ﷺ» أن يستشير خُلصاءه فى هذا الأمر وأصفياءه، فاستدعى إليه ابن عمه «على بن أبى طالب»؛ وحِبَّه «أسامة بن زيد»،

وسألهما رأيَهُما.

فقال «أسامة»:

– إنك لأعلم الناس بـ «عـائشة» يا رسول الله، وإن النـاس لتكذب، وما عرفنا عنها إلا خيْرا.

وأما عليٌ فقال:

– يا رسول الله . . . إن النســاء كثيرات، وإنَّك لقادر على أن تــستخلف (أى تنجب الأبناء) (١)، وسل الجارية تصدقُك (٢)

فدعا رسول الله ﷺ جـاريتها ليسألها فتـقول بريرة: (والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أنى كنت أعجن عجين فآمرها أن تحفظه، فتنام عنه، فتأتى الشاة فتأكله !).

وحين سأل رسول الله «ﷺ» -«عمر بن الخطاب» -رضى الله عنه- قال:

-تسـألنى يا رسول الله عن «عـائشة»؟ وإنى بدَوْرى أسـألك: مَنْ زَوَّجَكَ إياها؟

فأجاب رسول الله «ﷺ» بهدوءٍ:

– الله تعالى . . .

فقال «عمر»:

-إذاً . . . . أفتظُن أنَّ الله قد خَدَعَك ودلَّس عليك فيـها؟ سُبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

البراءة من السماء

وفتر الوحى ...

وتوقف مـدة عن رسول اللـه «ﷺ» ممَّا جعل لألسنة السـوء والفـحشـاء مـجالاً ومـيداناً فـسيـحاً . . ! ولم يبق أمـام رسول الله «ﷺ» من حـيلة إلا المواجهة. . .، فعزم على الذهاب إلى دار «أبى بكر» -رضى الله عنه.

(١) وكانت هذه من على «رضى الله عنه» بحق « عائشة» تركت فى نفسها جرْحاً.

(٢) يقصد بالجارية« بريرة» التى كانت مّولاة لـ« عائشة» ـ رضى الله عنها.

وحين دخل -عليه الصلاة والسلام- إلى الدار، كانت «عائشة» تبكى ويجوارها امرأةٌ من الأنصار، فكفكفَتْ دمعها، ومسحت عينيها، ثم جلس رسول الله «ﷺ» قُبالتها يسألها:

- يا «عائشة» . . . إنه قد كان ما بلغك من قول الناس، فاتقى الله، فإن كنت قد قارفتِ سُوْءاً مما يقولون فتوبى إلى الله، إن الله يقْبل التوبة من عباده . . .

ونزل القول على رأس «عائشة» نزول الصاعقة، فخيَّم الصمت الرهيب على المكان وشمل الجميع السكوت . . .، لكن «عائشة» وحدها تكلمت . . . ودموعها تدفَّقت من عينيها بغزارة . . .، تكلمت لتدافع عن نفسها، ثم نظرت إلى والديْها، وقالت صائحة صارخة:

- **ألا تجيبان !؟**

فقالا:

- **والله ما ندرى بماذا نجيب.**

فعادت إلى البكاء مع النشيج والنحيب، وقد تقطّعت نياط قلبها حُزْناً وألماً، ثم التفتت إلى رسول الله «ﷺ» قائلة:

- والله لا أتوب إلى الله مما ذكرتَ أبداً والله إنى لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس، والله يعلم أنى بريئة، لأقولنَّ ما لم يكن ولئن أنكرتُ ما يقولون لا يُصدِّقونى، إنما أقول كما قال «أبو يوسف» (يعقوب عليه السلام): ﴿ **فَصَبْرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تَصفُون**﴾[1] ثم عاد السكوت يلفُّ المكان برواثه الشامل، وشعر رسول الله «ﷺ» بأن الْوحى يكاد ينزل عليه، فسُجّى فى ثوبه، وأتته «عائشة» بوسادة من أَدْم وضعتها تحت رأسه، وفزع الجميع إلا «عائشة». . .، الطاهرة البريئة . . . !

وحين استفاق «عليه الصلاة والسلام» من غَشْيةِ الوحى وهو يتصبَّبُ عرقاً

(١) يوسف آية ١٨.

كالجُمان، قال:

- أبشرى يا «عائشة» قد أنزل الله براءتك ...!

فصاحت، والفرحةُ تغمر قلبها:

الحمد لله ...

ثم تلا رسول الله «ﷺ» قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٧) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾(١)

ثم أمر رسول الله «ﷺ» بالأشخاص الذين كانوا يروجون ويفترون ويقذفون .. فنالوا جزاءهم.

وعادت الطاهرة البريئة إلى بيتها، وإلى مقامها فى قلب رسول الله «ﷺ» وإلى مكانتها الرفيعة فى نفوس المسلمين جميعاً.

بعد رسول الله «ﷺ»

فتح المسلمون «مكة» وطهروا البيت الحرام من دنس الأوثان والأصنام، وارتفعت كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) مدوية فى سماء الجزيرة العربية.

---

(١) سورة (النور) الآيات (١١:١٨).

وبعد أن حج رسول الله «ﷺ» بالمسلمين حجة الوداع، وتلا عليهم يومها قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (١)

دمعت عينا «أبى بكر» -رضى الله عنه- إذ شعر بقرب لحوق النبي «ﷺ» بالرفيق الأعلى، وانتقاله إلى جوار ربه.

فى بيت «عائشة»

وحين دهمت الحمى رسول الله «ﷺ» سأل نساءه مستأذناً -بكل ما كان يتمتع به من أدب النبوة- أن يمرض فى حجرة «عائشة»، فَأَذِنَّ له.

فقامت «عائشة» -رضى الله عنها- المُحبَّة الوفيَّة، بتمريضه ﷺ، والاعتناء به، على خير ما يكون الحب والوفاء.

أوصى «ﷺ» أن يدفن فى حُجرتها . . ، وهكذا كان.

ولقد كانت -رضى الله عنها- أكثر نسائه وأهله حُزناً لفراقه، وألماً لبعاده، وهى تذكر سالف أيامها معه، وسنوات عمرها التى رافقته فيها.

وتولى والدها «أبو بكر» خلافة المسلمين ثم تبعه «عمر بن الخطاب» رضي الله عنهما -. والكلُّ يعرف لها مكانتها ومنزلتها، وفضلها وعلمها، فكم من قول وفعل كان لرسول الله «ﷺ» أُخذ عنها وسُمِع منها. وفي هذا نستطيع القول أن شطراً وجانباً هاماً من الأحكام الفقهية كان مصدره «عائشة» -رضى الله عنها-، فهى الحافظة الراعية لخصوصيات البيت النبوى الشريف.

ولما كانت خلافة سيدنا « عثمان « بن عفان » - رضى الله عنه - وظهرت بوادر الفتنة مكشرة عن أنيابها.

كان بيت « عائشة » - رضى الله عنها - في ذلك الحين ملتقى كبار الصحابة رضوان الله عليهم- يعرضون عليها ما يرون وما يسمعون ، ويطلبون إليها ان تدلى برأيها في الأمور كى يستقيم الحال وينضبط الوضع

(١) سورة (المائدة) الآية (٣) .

لكنها كانت تتردد خشية الدخول في باب لا تدرى إلى أين ينتهى.

واستُشْهد « عـثمـان » - رضى الله عنه - ، وقُتِل ظُلْمـاً وغَدْراً . . . ، ووقعت الواقعة . . .

وتولى « على بـن أبي طالب » - رضى الله عنـه - الخـلافـة ، وحـاول الأمويون (عشيرة « عثمان » وأهله) أن يتخذوا من استشهاده ذَرِيعة للخلاف بينهم وبين « على » والانتقاض عليه.

يطالبونه بالاقتصاص الفورى من قتـلة « عثمان » ويؤخرهم في ذلك ريثما تهدأ أعاصير الفتنة ورياحها. . !

وجاء إلى « عائشة » من يوغـر صدرها على « على » ويذكِّرها بما قاله في شأنها يوم حادثة الإفك. .

وخرجت جموع من الناس فيـهم « الزبير بن العوام » وولداه « عبد الله » و« عروة » و« طلحـة بن عبد الله يتـهمونه بالـتلكأ في الإقتصـاص من قتلة عثمان .

وبدأت محـاولات للمصـالحة وكادت المصـالحة تتم حتـي أن « الزبير بن العوام» غادر الميدان فعلا ، إلا أن سهمـاً مجهول المصدر أصاب « طلحة بن عـبيـد الله » فوقـع - رضي الله عنه شهـيـداً . . . وسالت دمـاء المسلمين وحدثت (معركة الجمل) حيث كانت « عائشة رضي الله عنها» تركب جملاً فسميت بهذا الاسم.

وكان « علياً » كرم الله وجهه - وفاءً منه لرسول الله « ﷺ » كريماً فأكرم « عائشة » وحفظها من كل سوء ، وأنزلها منزلاً مـباركاً، وأعادها مع أخيها «محمد بن أبي بكر » إلى المدينة معززة مصونة، مكرمة محترمة.

الوفاة

مرضت «عائشة» -رضى الله عنها-، وكان قد سبقها إلى الدار الآخرة معظم نساء النبى «ﷺ» ثم اشتد عليها المرض حتى فارقت الحياة الدنيا، وجرى دفنها فى «البقيع».

وكانت وفاتها سنة ثمان وخمسين من الهجرة (٥٨) هـ؛ ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان على أرجح الأقوال .

وقد بلغت من العمر تسعة وستين عاماً.

وكان الصحابى الجليل «أبو هريرة» -رضى الله عنه- ممن حضر جنازتها، وبينما هو فى طريق عودته من «البقيع» بعد الدفن، وقد غامت عيناه بالدموع، كان يردِّد:

(رحم الله أم المؤمنين «عائشة» لقد كانت حياتها صفحة ناصعة، شديدة النقاء، بالغة الطهارة).

رضى الله عنها وأرضاها وأكرم نُزُلها ومثواها؛ وألحقنا بها فى الصالحين من عباده.

وإلى اللقاء مع أم المؤمنين
«حفصة بنت عمر بن الخطاب»
- رضى الله عنهما -
رابعة زوجات النبى ﷺ

النشاطات

(أ) الأسئلة

١- اذكر آيات سورة «النور» التى نزلت ببراءة، «عائشة» -رضى الله عنها.

جـ- ....

٢- ماذا رأى رسول الله «ﷺ» فى منامه عن «عائشة» ؟ ومن جاءه بصورتها؟

جـ- ....

٣- كيف تمت الخطبة؟ تحدث عن ذلك.

جـ- ....

٤- متى بنى بها رسول الله «ﷺ»؟ ولماذا تأخر؟

جـ- ....

٥- ماذا حملت «عائشة» إلى بيت رسول الله «ﷺ» مع جهازها؟ وعلى ماذا يدل ذلك؟

جـ- ....

٦- ماذا قال رسول الله «ﷺ» فى حق علم «عائشة»؟

جـ- ....

٧- ما معنى: بدت نواجذه؟

جـ- ....

٨- مامعنى: أترابها؟

جـ- ....

٩- هل كانت «عائشة» زوجة غيور . . ؟ ولِم ؟ تحدث عن ذلك.

جـ- ....

١٠- لَم هجر النبى «ﷺ» أزواجه شهراً؟ تحدث عن ذلك.

جـ- ....

١١- أين توفى رسول الله «ﷺ» ؟ تحدث عن ذلك ؟

جـ- ....

١٢- كيف كانت حياةُ «عـائشة» -رضي الله عنها- بعد رسول الله «ﷺ» فى بيتها؟

جـ- ....

١٣- ما هي أسباب معركة «الجمل» ؟

جـ- ....

١٤- متى كانت وفاة «عائشة» -رضي الله عنها؟

جـ- ....

(ب) التمارين:

١- تحدث عن قصة الإفك فيما لا يزيد على خمسة عشر سطراً .

١- ....

٢- ....

٣- ....

٤- ....

٥- ....

٦- ....

٧- ....

٨- ....

٩- ....

١٠- ....

١١- ....

١٢- ....

١٣- ....

١٤- ....

١٥- ....

٢ - اذكر بعض فضائل «عائشة» الخلقية والعلمية.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

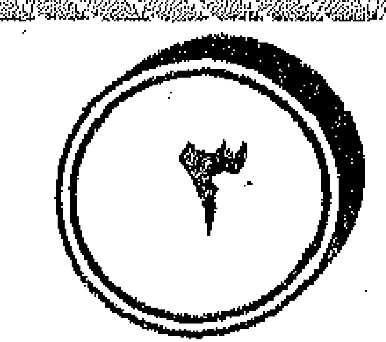
....

....

....

....

....

 «عائشة» - رضي الله عنها -

- الصِّدِّيقة بنتُ الصِّدِّيق.
- ما تزوج رسول الله « ﷺ » غيرها بكْراً.
- كانت أحبّ نسائه إليْه « ﷺ ».
- عُرفت بالذكاء والعلْم والفْهم.
- برّأها الله تعالى مِنَ الإفْك في الكتاب العزيز.
- مات رسول الله « ﷺ » في بيتها ، وبيْن سحرها و نحرها أي (أعلى الصدر وأسفل الرقبة) ، ودُفِنَ في حُجْرَتها.
- حفظت ووَعَتْ وحدَّثت ، فكانت رافداً عظيماً وغزيراً.
- معلمة الرجال والأجيال ، تربّى في مدرستها كثير من صغار الصحابة وكبار التّابعين.

***

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع
المركز الرئيسي الإسكندرية : ٢ش منشا محرم بك -
ت : ٤٩٠٧٩٩٨ - ٤٩٠١٩١٤ فاكس : ٥٩٥١٦٩٥
مكتب توزيع القاهرة ت : ٣٨٣٢٧٤٧